

إثبات العلو لله تعالى

تكلم بعد ذلك على العلو: علو قهر وعلو شان جل عن الأضداد والأعوان علو القهر: يعني الغلبة، قال الله تعالى: { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } يعني: القاهر لهم، الغالب لهم، المتصرف فيهم، فهو القاهر فوق عباده يعني: المتغلب عليهم. القهر قد يوصف به الإنسان؛ كما في قول فرعون { وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ } يعني: غالبون متسيطرون، متسلطون عليهم: { وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ } ففوقية فرعون يعني: غلبته لهم؛ لبني إسرائيل ونحوهم. وكذلك علو الشان، له علو القهر وعلو القدر، وعلو الذات، علو الشان: هو علو القدر، موصوفاً به الرب تعالى؛ علو الشان. وهذا أيضاً قد يوصف به المخلوق كما في قول فرعون { أَتَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى } يعني: علو شان وعلو قدر يعني: أنا أعلى قدراً من هؤلاء؛ من موسى ومن معه، يقول ذلك ليرفع نفسه. معلوم أن الأشياء تتفاوت تفاوتاً عظيماً، فالرب تعالى له علو القدر، فلا نسبة بين الرب وبين هذه المعبودات من دونه؛ من بعض، ومعلوم أنها تتفاوت تفاوتاً عظيماً، فالرب تعالى له علو الشان: جل عن الأضداد والأعوان أي: تنزه إلى أنفسهم باللائمة، فالله تعالى له علو الشان: جل عن الأضداد والأعوان أي: تنزه وتعظيم عن أن يكون له أعوان، أو يكون له أضداد الأضداد: هم الأشباه، الضد هو ضد الشيء؛ هو ما يصاده وما يكون مضيقاً له ونحو ذلك، والأعوان: المساعدون، الله تعالى لم يتخذ في خلق السماوات والأرض أعواناً؛ وذلك لأنه: إنما يقول للشيء كن فيكون، الكل تحت تصرفه وتقديره. كذا له العلو والفوقية على عباده بلا كيفية هذه مسألة العلو، الذي هو الفوقية على عباده، يعني: علو الذات. علو الذات: يعني كونه أعلى من خلقه وأرفع منهم، وهذه الصفة هي التي أنكرها المعطلة، ولا يزالون ينكرونها، ويدعون أن الله في كل مكان- تعالى الله عن قولهم- ويسمون من يثبتها مجسماً، يقولون: أنتم مشبهة، وأنتم مجسمة، وأنتم ممثلة ونحو ذلك، إذا أثبتنا صفة العلو لله تعالى الذي هو علو الفوقية. ونحن نقول: الأدلة واضحة فليس لنا أن نخالفها وأن نقول: إنها مؤولة أو نسلط عليها أقوال المتأولين. وقد ذكر العلماء أدلة صفة العلو لله تعالى الذي هو علو الذات، ونظمها ابن القيم في منظومته " النونية "، وقسمها إلى واحد وعشرين نوعاً، يعني: جعلها حاصرة للأدلة التي فيها دلالة على صفة الله تعالى بالعلو، وأنه العلي الأعلى، وابتدأها بآيات الاستواء في قوله: أولها استواء الرب فوق العرش في سبع آت في محكم القرآن وكذلك اطردت بلا لام ولو كانت بمعنى اللام في الأذهان لآتت بها في موضع كي يحمل ال باقي عليها وهو ذو إمكان يعني آيات الاستواء جاءت في سبع آيات، في سبعة مواضع، وكذلك اطردت بلا لام، ليس فيها اللام التي زادوها، الذين يقولون: استوى بمعنى استولى، فإنها زيادة في كلام الله تعالى، وقد شبهها ابن القيم بزيادة اليهود لما قيل لهم: { وَقُولُوا حِطَّةٌ } قالوا: حنطة، فيقول ابن القيم نون اليهود ولام جهمي هما في وحي رب العرش زائدتان ليس هناك دليل على أن استوى بمعنى استولى، قد أطلال العلماء في الرد عليهم في لفظ الاستواء، وتكلم على ذلك المؤلف الذي هو الحكمي في بشرحه لهذه المنظومة: " معارج القبول "، ويورد الكثير من أدلة صفة العلو لله تعالى، منها: آيات العلو؛ كقوله تعالى: { وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } { إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ } { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا } { سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } { إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى } فإنها عامة للعلو بأنواعه. ومنها: آيات النزول آيات الإنزال؛ كقوله: { مُتَنَزِّلٌ مِنَ رَبِّكَ } { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ } { تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } { تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } ؛ فإن النزول لا يكون إلا من فوق، الإنزال لا يكون إلا من فوق فأخبر بأن هذه منزلة من الله تعالى؛ فدل على أنه العلي الأعلى؛ ودل على أن من صفاته أنه هو العلي فوق عباده، الذي ينزل المخلوقات منه. ومنها: آيات الصعود كقوله: { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } ومنها: آيات العروج كقوله تعالى: { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } والعروج: هو الرقي، ومنها: آيات الرفع كقوله تعالى: { يَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } وقوله: { وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } . ومنها: ما ذكره الله تعالى عن فرعون أنه قال: { ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ الْأَسْبَابِ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى } دل على أن موسى أخبره بأن إلهه فوق العرش، وأنه فوق السماوات العلا، فلذلك أراد أن يصعد إلى السماء؛ حتى ينظر هل موسى صادق أم لا؟ قال: { وَإِنِّي لَأَظُنُّ مِنَ الْكَاذِبِينَ } . ومنها صفة الظهور في قوله تعالى: { هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ } والحاصل أنه أوصلها إلى نحو واحد وعشرين نوعاً. وكذلك الأحاديث الكثيرة في ذلك، وبكل حال فإن هذه هي عقيدة أهل السنة: أنهم يؤمنون بأن الله تعالى هو ربهم، وأنه هو العلي الأعلى، وأما الأشاعرة، والمعتزلة، والصوفية، ونحوهم، فإنهم يدعون أن ربهم تعالى في كل مكان بذاته، ولا ينزهون الله تعالى عن الأماكن، بل يقولون: إنه في كل مكان، وأقوالهم متخالفة.